ياسين رفاعية

الرجل الخطر

قال رئيس الشرطة مخاطبا احد معاونيه :
ـ راقب لي هذا الرجل .
اخذ المخبر الصورة من رئيسه وخرج .

في صباح اليوم التالي وقف المخبر تجاه منزل الرجل . وتظاهر انه ينتظر احد اصدقائه ، اذ كان يتطلع الى ساعته ، ثم ينظر الى فم الزقاق بقلق ظاهر .

في الساعة الثامنة الا ربعا ، خرج شاب مربوع القامة من منزله ، كان يضع على عينيه نظارتين سميكتين طبيتين . ويتأبط مجموعة من الصحف والمجلات . ولقد سمع المخبر صوتا نسائيا ينادي : « الله يرضى عليك يا بني ، الله ييسر طريقك ، ويفتح لك ابواب الرزق » ولقد لاحظ المخبر ان الرجل يردد دون صوت : آمين .. امين .

اتجه الرجل الى الشارع بهدوء ، كذلك فعل المخبر .

انتظر الرجل قدوم الباص الى المحطة . وعندما وصل صعد اليه ، كذلك فعل المخبر . وعندما وجد الرجل مقعدا فارغا وجلس فيه ، اسرع المخبر وجلس الى جانبه .

ولقد تامل المخبر الرجل جيدا . انه نحيل ضعيف ، حتى لتكاد ملابسه تسقط عنه ، بل كان جسده كله يرتجف ، قال المخبر في نفسه « انه رجل صغير جدا » .

هبط الرجل من الباص في المدينة ، كذلك فعل المخبر .

اقترب الرجل من مبنى وزارة العدل ، قرأ كل الاوراق المثبتة بدبابيس على لوحة الاعلانات . ثم هز برأسه ومشى في اتجاه آخر ، كذلك تبعه المخبر .

ولقد مشى الرجل طويلا في الشوارع ، كذلك مشى المخبر طويلا ، حتى اذا وصل الرجل الى مبنى وزارة الزراعة كان المخبر وراءه . وفعل الرجل كما فعل امام مبنى وزارة العدل .. وبدا الضيق على وجهه وهو يترك مكانه ، كذلك بدا الضيق على وجه المخبر . وزار الرجل ذلك اليوم اكثر مباني وزارات الدولة ، وقرأ كل لوحاتها . كذلك فعل المخبر . وعندما تطلع الرجل الى ساعته ورآها الثانية ، كذلك كانت الثانية في معصم المخبر .

دخل الرجل سوقا عتيقة في المدينة . وكاد يضيع في الزحام ، لولا ان المخبر بذل جهدا كي لا يغيب عنه . ولم يكن يهمه مطلقا ان يتدافع والناس بالمناكب ، فيجب قبل كل شيء ان لا يغيب الرجل عنه ولو ادنى لحظة . ولما لاحظ المخبر ان الرجل دخل مطعما متواضعا ، تنفس الصعداء . فلقد حان له ان يرتاح قليلا ، ودخل المطعم . كان الرجل الصغير قد اختار طاولة في الزاوية . فاختار المخبر طاولة الى جانبه . واقترب النادل من الرجل الصغير يسأله ماذا يريد ، فقال له بصوت ضعيف مرتجف : صحن فول . واقترب النادل من المخبر يسأله ماذا يطلب . فطلب صحنا من اللحم المشوي وصحن سلطة ، وكأسا من العرق . ولقد اسرع النادل ليعود بعد قليل باللحم المشوي والسلطة والعرق . فيما كان الرجل الصغير ما زال ينتظر .

بعد قليل جاء النادل بصحن الفول ووضعه على طاولة الرجل الصغير ، فبدأ هذا تناول طعامه ببطء شديد ، فيما كان المخبر يمضغ طعامه وهو ينظر اليه . بعد قليل دفع الرجل الصغير ثمن طعامه وخرج، وكذلك فعل المخبر . وبعد لحظات دخل الرجل مقهى شعبيا والتقى باصدقائه الذين رحبوا به .

سمع المخبر حوارهم .
سأل احدهم الرجل الصغير :
ـ هل وجدت عملا ؟
ـ لم اجد عملا .
ـ انتظر .. سيفرجها الله
ـ سيفرجها الله
وقال له آخر :
ـ من اين تعيش ؟
ـ ابيع ما يمكن بيعه من حاجيات المنزل
ـ وضعك سيء
ـ وضعي سيء .
ولقد كان المخبر ، رغم ضجيج المقهى ، يصغي جيدا . فيما قال ثالث للرجل الصغير :
ـ هل تلعب النرد ؟
ـ لست في مزاج رائق .
ـ تعال .. ستنسى

وصفق للندل طالبا طاولة نرد . لحظات وبدأ الاثنان يلعبان . وهنا

اقترب المخبر اكثر موحيا انه يريد التفرج ، فافسح له الرجل الصغير مكانا .

لعب الصديقان زهاء ساعة ، وكان الرجل الصغير غير متحمس . وهنا اقترح ثالث الذهاب الى السينما . فيما دخل بائع صحف . فاشترى الرجل الصغير صحيفة . والمخبر كذلك ، فتح الرجل الصغير الجريدة ، قرأ عناوينها الصغيرة بسرعة ، وصار المخبر يفعل مثله . انتقل الى الصفحة التالية . ثم راح يقرأ الاعلانات ، قرأ المخبر ايضا الاعلانات بعد قليل رمى الرجل الصغير الصحيفة جانبا . لكن المخبر طوى جريدته جيدا ووضعها في جيب ردائه . عاد الذي اقترح الذهاب الى السينما يجدد اقتراحه . لكن الرجل الصغير بدا مترددا . الا ان الصديق قال ضاحكا :

ـ قم يا عادل ، انا ادعوك .

ـ ليس هذا سبب ترددي .. انا تعب .

ـ تعب من ماذا ؟ انت عاطل عن العمل منذ فترة طويلة . ولقد اعتدت الكسل . قم . قم . ستروح عن نفسك اذا حضرت فيلما سينمائيا .

ولم يفه الرجل الصغير بكلمة . عندئذ استعد الاصدقاء لمغادرة المقهى ، وكذلك استعد المخبر .

واختار الثلاثة فيلما فرنسيا اسمه «المعجزة لا تقع الا مرة واحدة» وتعمد المخبر ان يكون مقعده خلف الرجال تماما ليتسنى له الاستماع اليهم بشكل جيد .

ودخل الجميع الصالة ، واتخذ كل منهم مكانه ، واقترب المخبر واتكأ على المقاعد التي امامه :

ـ تلك المرأة الجميلة ، انها شهية كرغيف خبز .

ـ ودافئة كبيت مليء بالسجاد .

ـ نهداها رائعان .

ـ شفتاها قرمزيتان

وغابت المرأة في مقعدها .

ـ آه .. ليت مقعدها كان الى جانبنا

ـ ليست وحدها

ـ لا شك ان حبيبها معها

ـ انظروا .. فعلا حبيبها معها

ـ عندما تظلم الصالة سيكون لهما فيلمهما الخاص

ـ لا شك ان يده ستشبع من لحمها النضر

ـ هل تعرف النساء يا عادل ؟

ـ لم اعرف امرأة .

ـ كيف تتصورها ؟

ـ اتصورها بيتا من النجوم ، واكوام نضار .

ولقد حاول المخبر ان يردد في نفسه حوار الرجال الثلاثة كي يقدم غدا تقريره الذي يدلل على نشاطه ، ويخطو به خطوة اخرى نحو الترقية

عاد ينصت :

ـ ماذا ستفعل اذا فشلت في الحصول على عمل ؟

ـ سأرحل

ـ واذا لم تجد عملا بعد رحيلك ؟

ـ سأبذل جهدي

قال احدهم متنهدا :

ـ آه . ليت الانسان لم يخلق للعمل . قالوا ان الانسان كان يعيش على نباتات الارض قبل الف عام .

ـ لم يعد في الارض نباتات مجانية . كل شيء اصبح له ثمنه ، الخبز له ثمن . الرز له ثمن . اذا لم تدفع تموت جوعا .

ـ واذا لم يكن معك ما تدفع ؟

ـ تسرق

ـ اذا سرقت ياخذونك الى السجن

ـ على الاقل تاكل هناك

ـ كل شيء يمكن تحمله ما عدا الجوع

دخلت امرأة تحمل طفلا وتجر وراءها طفلين آخرين ، علق احدهم :

ـ سنقضي وقتا سيئا .

ـ لماذا ؟

ـ انظر . امرأة جلبت معها اولادها

ـ ولكن .. اليس ممنوعا دخول الاولاد ؟

ـ لعلها توسلت الى الموظف الذي ياخذ التذاكر ووعدته ان لا يصدر عن احد اولادها اي صوت .

قال احدهم :

ـ متى تصبح لنا اسرة . متى يصبح لنا اولاد ؟

قال الرجل الصغير :

ـ الافضل ان لا تتمنى ذلك !

ـ لماذا يا عادل .. الا تتمنى ان تتزوج امرأة تحبها وتنجب لك ذرية اولاد ؟

ـ لا اتمنى .

ـ لماذا ؟

ـ الحبيبة يجب ان يكون لها قصر ، والاولاد حديقة يلعبون فيها .

ـ انت طماع . انا لا اطمع باكثر من ترفيع استثنائي ثم اتزوج .. بيوت الاجرة كثيرة . وليس ضروريا ان يكون لكل بيت حديقة .

ـ لكن .. لا تعرف متى يضع احدهم قدمه في ظهرك ويقذف بك خارجا .

ـ انت متشائم اكثر مما يجب .

قرع الجرس . واخذت اضواء الصالة تخفت رويدا رويدا . الى ان عم الظلام فاشتعلت الشاشة بالاعلانات .

قال الرجل الصغير مخاطبا جاره :

ـ الاعلانات .. الاعلانات .. اصبحت الاعلانات اهم شيء في حياتي .

ولقد استغرب المخبر ان يسمع كلاما من هذا النوع ، لاول مرة منذ الصباح ، فاخرج في الظلام دفتره الصغير ودون هذه العبارات ، ثم اقترب اكثر الى الامام متسائلا : هل هذا اجتماع سري .. لكن الرجال الثلاثة كانوا صامتين .

عرضت الشاشة مشاهد مختلفة لافلام سينمائية قادمة . ثم اضيئت الانوار . قال احدهم : تعالوا ندخن خارج الصالة . خرج جميعهم ، ولحق بهم المخبر ولاحظ ان الرجل الذي يراقبه لا يدخن . انما شغل نفسه

بالنظر الى صور النجوم السينمائية المثبتة على جدران القاعة . وفي صور ممثلة الفيلم وهي تقبل بطل الفيلم . ولقد حاول المخبر ان يجد شيئا غير عادي في هذه الصور ، لكنه لم يفلح .

عندما اخذت الانوار تخفت . عاد الجميع الى مقاعدهم . وبدا عرض الفيلم ، ولم تمض دقائق الا واخذ الرجل الصغير يتململ . وظلت عينا المخبر منصبتين عليه تماما . وبدا للمخبر فيما بعد ان الرجل الصغير قد استغرق في النوم .ومع ذلك لم يشغل نفسه بالنظر الى احداث الفيلم ، فهو في مهمة ، وهو بالتالي ليس في اجازة ، وعليه تنفيذ اوامر رئيسه بدقة .

قال احد الصديقين للاخر :

ـ عادل نـام

ـ اتركه في همومه

ثم تابعا النظر الى الشاشة .

عندما انتهى عرض الفيلم،هز" احد الصديقين الرجل الصغير . استيقظ مذعورا . راى الناس يخرجون . فراح يعتذر لرفيقيه في خجل:

ـ آسف .. اعذروني .. كنت تعبا ، فنمت .

ـ كان الفيلم جميلا .

ـ عنوانه حكمة

ـ المعجزة لا تقع الا مرة واحدة

ـ والله صحيح

ولقد بذل المخبر جهدا كي يسمع ما يدور من احاديث بين الرجال الثلاثة .

في الشارع ، وقد بدا الغروب يخيم على المدينة ، ظل المخبر وراء الرجل الصغير وصديقيه . قال احدهم :

ـ ما رايكم ؟. نعود الى المقهى .

وافق الثاني ، لكن الرجل الصغير اعتذر قائلا :

ـ امي وحدها في المنزل ، ولا اريد ان اتاخر عليها . انها تنتظرني.

ـ لم تعد صغيرا حتى تخاف عليك .

ـ ليس الامر ان اكون صغيرا او كبيرا . الحق انها عزائي الوحيد وهي تظل قلقة لانها تعرف انني في وضع غير طبيعي .

ـ كما تريد

وهنا اقترب الرجل الصغير من احد صديقيه وهمس باذنه شيئا . خفق قلب المخبر « يا الهي .. ماذا قال له ؟ » ولكن سرعان ما تبدد خوفه عندما سمع الاخر يقول له :

ـ ولو يا أخي عادل .. ولو .. نحن لبعضنا . لقد سبق ومررت بحالة مثل حالتك .. لا .. لا لن يزعجني ذلك . خذ .

ولاحظ المخبر ان الصديق اخرج من جيبه بضع اوراق صغيرة من النقود وقدمها للرجل الصغير الذي كان خجلا . وقبل ان يمد يده لاخذ هذه النقود التفت يمنة ويسرة بنظرات خاطفة ، ثم سرعان ما اخفى النقود في جيبه وهو يتمتم بكلمات الشكر . ثم ودع صديقيه ومشى في اتجاه آخر .

تبعه المخبر وما زالت في ذهنه تلك اللحظات الخاطفة التي التقت فيها نظرات الرجل الصغير بنظراته قبل دقائق لاول مرة منذ راح يتتبعه ولاحظ المخبر ان هذه النظرات رغم قلقها وخوفها كانت تنم عن دخيلة ذلك الرجل الطيبة وحزنه العميق واحساسه بالغربة ، بل ان المخبر اخذ منذ تلك اللحظة يتساءل عن السبب الذي دفع رئيسه ان يطلب منه مراقبة هذا الرجل الصغير . ومع ذلك (قال المخبر لنفسه) يجب ان تقوم بالواجب . وان تراقب هذا الرجل حتى يدخل بيته .

بعد لحظات دخل الرجل الصغير احدى المكتبات فاشترى كتابا ومجلة اسبوعية ، ولم ينس المخبر قبل ان يخرج من المكتبة ان يسال عن اسم الكتاب والمجلة . رواية لمؤلف اجنبي ومجلة فنية . لكن لم يفته ان يلاحظ ان غبطة مشوبة بالدعة والاطمئنان ارتسمت على وجه الرجل بعد شرائه الكتاب والمجلة .

ولقد اخذ الرجل الصغير يغذ السير نحو محطة الباص ، كذلك فعل المخبر . وصل الباص ، فصعد اليه الرجل ، وصعد المخبر وبعد قليل نزل الرجل من الباص ، ونزل المخبر ووصل الرجل الى بيته ، اخرج مفتاحا وفتح الباب ودخل ، وظل المخبر في الخارج نحو ساعة . وعندما اطمان ان الرجل لن يخرج ثانية تنفس الصعداء وعاد الى منزله ليكتب تقريره .

* * *

في صباح اليوم الثاني دخل المخبر على رئيس الشرطة ، وبعد ان حياه التحية العسكرية المالوفة . قدم بضع اوراق وقال :

ـ لقد راقبت الرجل طوال يوم امس يا سيدي .. واليك التقرير.

اخذ رئيس الشرطة التقرير من المخبر ، ثم جلس خلف منضدته . وراح يقرأ باهتمام بالغ . ولقد لاحظ المخبر وهو يقف امام رئيسه وقفة الاستعداد ان الاهتمام اخذ يزداد على وجه رئيس الشرطة كلما قرأ صفحة ، فاغتبط هو ايضا .

وبعد انتهاء رئيس الشرطة من قراءة التقرير ، ضغط على جرس احمر الى جانبه ، فدخل على الفور رجل فارع الطول ضخم الجثة وقال :

ـ نعم سيدي .

ـ خذ .. هذا التقرير . وافتح ملفا له ، فهذا الرجل يشكل خطرا على امن الدولة .

ثم التفت رئيس الشرطة الى المخبر ، وقال له :

ـ اخرج الان .. فقد اطلبك بعد قليل .

وخرج المخبرمن غرفة الرئيس بانتظار اوامر جديدة .

صدر حديثا عن دار الطليعة

الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية

« بصراحة أعترف لك بصدق بصيرتك ، وقوة استدلالك ، ولك أن تنشر عني بأن تفسيرك للاعمال التي عرضتها هو أصدق التفاسير بالنسبة لمؤلفها »

ـ نجيب محفوظ ـ
من رسالة الى المؤلف